تداول اللسان العربي في المغرب الإسلامي – المغرب الأوسط - أنموذجا – بين القرنين(1-4هـ / 6-10م)

لعريبي بلال – ماجستير تاريخ وسيط
المدرسة العليا للاساتذة – بوزريعة -

كان لانتشار اللسان العربي بين الأمصار أول الأمر يسير مع الدعوة الإسلامية مسايرا للأمة العربية مترسم خطاها و متتبع أثارها ، و يعد نشر اللغة العربية من بين أهم حوادث الفتح الإسلامي وجوهر حملة العلم الأوائل في سبيل إعلاء راية الجهاد و الشهادة في سبيل الله بالسيف و القلم ، بالخصوص بعد إسلام البربر و تعريبهم هذه الأمة العظيمة القوية التي لولا استماتتها على أسنّة السيوف بالمغرب و الأندلس لأجل الفتح و الشهادة لكانت بلاد شماليّ إفريقيا كلها أمصار معادية و مناوئة للإسلام و لأن نبوغ غير العرب في اللغة العربية القحة هو أمر غير بدع و تأكد ذلك عند استعراب البربر المغاربة الذين تأثروا و أثروا بنشر الإسلام و اللسان العربي المبين الخيّر الذي هو ترجمان وحي الله و لغة كتابه و معجزة رسوله وخلدا ذلك القران الكريم بخلوده الإسلامي واختصوا باللسان العربي بعاداته و تقاليده الشريفة و اصطبروا عليها ككتلة واحدة هم و العرب، بل إنّ البربر في المواقف الخطيرة هم أقرب إلى العرب من العرب أنفسهم أو بعضهم إلى بعض ، **قال الله تعالى : { وَ مَا أَرْسَلنَا مِنْ رّسُولٍ إلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيّنَ لَهُمْ فيَضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }** (إبراهيم – 4) .

و لما كانت بلاد العرب مهد الأدب العربي و عموده الفقري و أرض نشأته التي طبعته بطابع قوي بعيد الأثر و التي فتقت اللسان الذبيح باللغة العربية البينة باللسان الفصيح و استل من سلالته عدنان و أبناء كنعان و اشتق من دوحته بني قحطان و أحياءه منذ أن بعث أفصح النّاس لسانا و أقومهم خلقا و خلقا سيدنا محمد (ص) سيّد الفصحاء و إمام البلغاء الذي علم الأدباء كيف يتأدبون و ترك الناس مناهل من كمالات الإنسانية منها يغترفون و عنها يصدرون و نهجوا منهجهم و نسجوا على منوالهم فكانوا خير خلف لخير سلف و أحيوا دين الله بنشر كتابه و ليس هناك من الأمم أو الأمصار ما أوتيت من العارضة و البيان واتساعا خدمة

لغته العربية من الأمة المحمدية ، **قال الله تعالى : { وَ هَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا و بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ } (الأحقاف - 12) .**

و هناك من يؤكد أن بدايات انتشار اللغة العربية أول ما بدأ نشاط هذه الحركة و أشهرهم بعد عقبة بالمغرب كان في أيام حسّان بن النعمان الغسّاني أحد ولاة افريقية من قبل عبد الملك بن مروان ثم موسى بن نصير و عبيد الله ابن الحبحاب و قد تميز عهد هؤلاء بأعمال جليلة في توطيد الإسلام بين السكان و في دعم الاستقرار بالإصلاحات المختلفة ، فحسان هو أول من عرب الدواوين و جعل اللغة العربية لغة رسمية في بلاد المغرب و من الممهدين إلى السبيل لتقدم الثقافة العربية و استقرار الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب فدوّن الدواوين ، ورسّم اللغة العربية أي جعلها لسان الدولة الرسمية فحسان هو من عرب الدواوين و جعل اللغة العربية لغة رسمية قولا و فعلا ببلاد المغرب و هو الذي جلب الإقباط من مصر لبناء السفن و إنشاء الموانئ ذلك لحماية السواحل من الغارات المفاجئة و لتيسير المواصلات و المعاملات البحرية .

و أما عن موسى بن نصير ففي عهده فتحت الأندلس التي يعد فتحها أول عمل عسكرى عظيم حققه المغاربة تحت راية الإسلام و إلى عبيد الله بن الحبحاب ينسب تأسيس و بناء جامع الزيتونة الذي أصبح فيما بعد مركزا عظيما للثقافة و اللغة العربية طيلة قرون عديدة و أنجب عباقرة كثيرين أمثال ابن خلدون و ابن عرفة فأوجب بذلك تعلمّها على السكان المسلمين و غير المسلمين ثم بعد ذلك أنزل عمر بن عبد العزيز بافريقية و المغرب 10 من الفقهاء يعلمون الناس القران و يفقهونهم في الدين، كذلك فعل بن نصير فرتب عدد من الفقهاء و القراء للغرض نفسه، و هذه كلها محاولات كان لها نتيجتها الطيّبة ، و أثرها المحمود في سرعة استعراب المغاربة و طبعهم بالطابع العربي الصميم ،كما شوهد ذلك يوم فتح الأندلس حيث خطب طارق بن زياد و هو مولى مغربيّ لموسى بن نصير خطبته المشهورة في جيشه الذي أناف على اثني عشر ألف جندي ، فيهم ثلاثمائة فقط على أكثر تقدير من العرب ، ففهمها الجيش كله و أثرت فيه أيّام التأثير البليغ المشهود في اندفاعه إلى حومة الوغى و تهافتته على الموت بإيمان و حماس .

فكيف يفسّر هذا بغير سرعة انتشار اللغة العربية ، كالسرعة التي انتشر بها الإسلام ؟

نحاول إبراز و تقصي طريقة و كيفية انتشار اللغة العربية و دورها في تحقيق التواصل بين المشرق و المغرب منذ كتابة الرسائل و تدوين الدواوين مابين القرنين (1- 4 هـ/6-10م) أي من الفتح الإسلامي إلى استقرار بني هلال- المغرب الأوسط - أنموذجا - و من أجل ذلك اخترنا عنوان موضوع الرسالة كالتالي :

تداول اللسان العربي في المغرب الإسلامي – المغرب الأوسط أنموذجا – بين القرنين 1-4هـ / 6-10م

لا شيء أحب للإنسان من الاطلاع على أصل لغته و كيفية نشأتها و مما لا شك فيه أن إثارة موضوع اللغة العربية و انتشارها في المغرب و الأندلس بين هذه الأمصار من الفتح الإسلامي إلى استقرار بني هلال خلال القرن 1–6 هـ / 7– 12 م ذي الطابع التاريخي الأدبي الحضاري الذي يهتم بالتواصل بين الأمصار الإسلامية في المشرق و المغرب بتتبع و اقتفاء خط مسار انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي كجزء من سير حركة التاريخ و حرص الفاتحين المسلمين على تعليم اللسان العربي للبربر و غير العرب و استعراب بربر المغاربة و الأندلسيين دون النظر لأصولهم و انتمائهم، فقد تجلى في نشر لغة التخاطب العربية بين القبائل البربرية و احتكاكهم لبعض قبائل زناتة الصحراء و صراعهم مع بني زيري و إعراضهم عن بني سليم و بالتالي كان عاملا فعالا على تعريبها تعريبا تاما و إن تطلب ذلك تحالف مع قبائل أخرى ، و استمر الاستعراب يعمل عمله طيلة القرون اللاحقة حتى لم تبق البربرية أداة تخاطب إلا بين قبائل جرجرة و قبائل أوراس و أما أدبهم فهو غزير و راقي جدا من أسمار و قصص و شعر ملحون فانتشر في أدبياتهم و معاملتهم خلال التأليف و التعليم و مؤلفات قصائدهم في أدبهم ذلك كثير و بالتالي دخول عناصر أو التركيبة الجديدة البدوية في هيكل المجتمع المغربي بحيث كان لهذه العناصر خصائصها العقلية و الخلقية من حب الشجاعة و الحرب و الكرامة و النبوغ الأدبي المغربي و النظم النطق المتميز وكره للنظام و الحكومة المركزية و الضرائب و أساليب الحضارة المتمدنة و هذا ما يبرره و يؤكده مدى قول العلامة ابن خلدون (732، 808 هـ / 1332 ، 1406م) " ... أن الأرض التي يقع أو ينزل بها العرب أسرع إليها الخراب و يحل بها الدمار و التخلف ... " ، و لذا تعتبر مقدمته المشهورة فتحا

جديدا في هذا الميدان لم يسبق إليه و لم ينسج على منواله أحد من بعده في العربية .

أما تأثيرهم في الحياة الاقتصادية كان تأثيرا ضارّا لا نافعا ، نتج عنه تخريب معالم الاقتصاد بالمغرب و شلّ النشاط المزارعين البربر فيه مدة طويلة و بعد فترة من حياتهم اخذوا يقلدون البربر و يأخذون عنهم أساليب الزراعة و التجارة التي مهروا فيها قديما فالبيئة العربية الصحراوية قليلة الموارد الاقتصادية بطبعها .

و ما أهمية اللغة العربية إلا إذا كان انحطاط الأدب العربي مظهر من مظاهر ضعف الأمصار ، كما كان بعثها ونهضتها بعثا للأدب و نهوضا و ارتقاء لها ، فلعمري إن مثل هذا المقال لجدير بالبحث و الاهتمام الجاد فإن تاريخ الحياة الثقافية و الفكرية الأدبية عامة و اللغة العربية خاصة ، بمثابة الحجر الأساسي للبناء التعليمي و مناهجه ، و تتبع دراسة التراث العلمي و الفكري العربي الإسلامي ما هو إلا خاطرا بعون الله على تنمية شرعية اللسان العربي و الميل إلى البحث العلمي و الاستزادة من مفاهيم العلم و المعرفة في العطاء الحضاري الإنساني و العالمي ، فمما لايشوبه ريب و لا يخامره شك أن ما بلغه اللسان العربي من تقدم يرسخ ضرورة تطوير اللغة العربية و أن عالمنا الحاضر يتجه بسرعة إلى الجانب تعلّم و تعليم اللسانيات واللغات الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة ، فقد اختلطت اللغة العربية- زمن الفتوح الإسلامية - بلغات أخرى في بلاد فارس و الهند و الشام ومصر وجنوب إفريقيا و الأندلس لكنها احتفظت دائماً بفصاحتها ووحدتها وكيانها ولم تكتف بذلك بل أزاحت جلّ اللغات التي كانت سائدة في تلك الأمصار و حلت محلها أو نفخت فيها من روحها وطريقة تفكيرها ممثلة عنوان و جودنا الإنساني ووسيلته الخلاقة في التعبير عن الاتصال بين كينونة البشر مع الكون و الحياة حتى لا تكون اللغة العربية علم منا بأسبقية غيرنا .

فتنافسوا في حلبتها و بلغوا الشأو الأعلى فيها ، **قال عزّ و جلّ : { إِنَّا أَنْزَلْنَاه قرْءَانا عَرَبِيّا لّعلّكُمْ تعْقِلُونَ } (يوسف - 2) .**

فاللغة العربية لها علاقة تناسب طردي مع تقدم الأمة العربية مسجلة ماضيها و مصورة حاضرها وراسمة شخصيتها و بفضلها مازلنا في حاجة ملحة لمعرفة تاريخنا و الاطلاع على سير البناء التعليمي و التعلّمي ، ففي مصر حلت اللغة العربية مكان اليونانية و القبطية و في زمن وجيز بعد الفتح العربي هو انتشار

اللغة العربية لتصبح لغة الدواوين في الأقطار التي فتحها العرب المسلمون عهد الخلافة الراشدة و ما تلاها و العجيب أن تساير هذه اللغة حركة الفتوح الإسلامية مداً و جزراً و أن تستوعب مختلف أوعية الحضارات و الثقافات ، **قال تعالى :** **{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} (مريم – 97)** .

فمنذ صدور أطروحة جورج مارسي G . Marcais " تاريخ العرب في بلاد البربر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر (1913 م) " التي ما زالت بجد صالحة إلى الآن على نحو جدير بالملاحظة و بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، كان علينا أن ننتظر أطروحة روبار برنشيفيك " بلاد البربر الشرقية في عهد بني حفص (1940 - 1947م) " لنظفر بأوّل دراسة تأليفيّة موفقة حول إحدى فترات تاريخ العرب في العصر الوسيط، فتعلم اللغة ليس حكراً على المناهج اللغوية و ليس تعليم العربية حكراً على أساتذتها بل يدعونا الوعي اللغوي إلى أن نجعل كل ما يُملى و يُكتب بلغتنا وسيلة من وسائل تعلّمها ، فاللغة وعاء العلم و حاضنة التراث و أداة التواصل ، ووسيلة التعبير.

تعتبر اللغة العربية في كل عصر و في كل بيئة صورة للمجتمع البشري فهي من أهم المظاهر الحضارية و الفكرية ولعلّ من الأهمية بمكان بل ليس بالأمر السهل أو الهين معرفة ملامح انتشار اللغة العربية أو التعريب في المغرب الإسلامي من الفتح إلى استقرار بني هلال خلال القرنين (1 - 6 هـ/ 7 - 12م) هذا الانقلاب الحاصل في لسان المجتمع المغربي الأبّي و النقلة النوعية أو الطفرة الوراثية اللغوية و التبليغ في المغرب الإسلامي على مستوى حياته السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في لسان حال تخاطبه لهو واجب

و لزاما يعنينا حقا الكشف الحثيث على تصوّر أثاره و نتائجه و البحث فيه منذ الفتوحات الإسلامية الأولى التي عربت أصلاب المغاربة على هذا الامتداد الشاسع للزحف العربي لبني هلال و بني سليم من المشرق قبل اعتناقهم الإسلام إلى ارتدادهم ثم إسلامهم أي منذ ترك مواطنها بوادي الحجاز و في عهد الراشدين (11 ، 32هـ/ 632 ، 653 م) و تأسيس مدينة القيروان (50 ، 55 هـ/ 670 ، 675 م) التي مثلت النشأة الأولى في التربية و التعليم للبناء الثقافي التعليمي ، فكانت عربية خالصة لحما و دما وكذروة روح العلم والمعرفة و لبنة التعليم العربي كقناة هامة من قنوات النشاط الأدبي بعد فتح الأندلس (92 هـ/ 711) و ظهور دويلات في

المغرب الإسلامي من الفاطميين و الزيرين و الصنهاجيين و الحماديين و المرابطين (دولة الفقهاء اللغة) و الموحدين و ما لها من تأثير على نشر اللسان العربي و دور الموحدين سنة (362 هـ/ 982م) من قهر و إجبار للقبائل الهلالية و السليمية و استقرارها في الأمصار الجديدة بافريقية (442 هـ/ 1033م) بإرسالهم لثغور الأندلس و نحن في دراستنا انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى استقرار بني هلال ما بين القرنين (1– 6 هـ/7– 12م) و أول ما نبدأ به الدراسة هو معرفة طبيعة و حقيقة و أصول و بطون أنساب الهلالين و بني سليم و بيئة موطنهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية بالحجاز ثم تسربهم خارجها بفضل المراحل الكبرى للفتح الإسلامي نحو افريقية ثم الزحف الهلالي و السليمي بالمغرب الأوسط و يتوقف توسع اللسان العربي على سرعة و بطء عملية الفتح بدليل أن المغرب الإسلامي قد استعرب قبل استعراب الأندلس بحكم سير عملية الفاتحين المسلمين حملة العلم العشرة الأوائل و تدل على عمق الاتصال و التفاعل بين العرب المسلمين في المشرق و المغرب الإسلاميين و يبين الدور الايجابي ببناء صرح الثقافة الإنتاجية في أسلوب التبليغ وفق الدراسات العربية الإسلامية المتأصلة ، لغة الآباء و الأجداد ، بل لغة الوحي الإلهي القران المجيد .

و تكمن مدى أهمية تداول اللسان العربي في المغرب الإسلامي – المغرب الأوسط أنموذجا - من الفتح الإسلامي إلى استقرار بني هلال بين القرنين (1- 4 هـ /7- 10م) بدليل أن المصادر قد تبخل علينا بكثير من المعلومات بهذا الخصوص نظرا لاحتدام الصراع القبلي و صعوبة تقبله مع سرعة تداول اللسان العربي بين اللغات و مزاحمته للغة البربرية و الفينيقية معا و تفوقه عليهما و حمل العلوم و الثقافة الإسلامية و نشرها إلى السّوادين و امتزاج الأدبين عربي و بربري .

فقد أمرنا ديننا الإسلامي الحنيف بالعلم بكافة أنواع العلوم العامة و بعلم العربية : لغة القران و البيان خاصة و لما كانت اللغة العربية هي أهم السبل نستشف بها شخصية الأمصار و ذاتها و خصائصها العلمية و الفكرية لمعرفة ماضينا البعيد وربطه بالقريب و التقاء الأعراق اللاحقة بالسابقة الذاهبة و امتزاج الآراء و المفهومات و عليه تكون دراسة الآداب خدمة للتاريخ لمعرفة الأمم و الأمصار.

فنتيجة طبيعية أن يستعرب المغاربة بعد إسلامهم ، و يتعلموا لغة التنزيل الذي هو دستور الإسلام و أقنومه و المصدر لجميع أحكامه و تعاليمه ، فإنما بالعربية تفهم

الأصول و فروعه بنحوها و صرفها و اشتقاقها و شتى فنونها البلاغية و العروضية لا دليل ما بلغه العرب من رقي عقلي و نضوج فكري ، و تقرر شرائعه و أحكامه على أن هذه الفصحى لغة البيان و الشعر تمتلك برقتها القلوب و تستلب العقول لهذا الفتح الجديد و بعث روح التعليم العربي ، فاللغة العربية جزء مهم و ضروري من حقيقة سير التاريخ و الإسلام .

جاء بناء طرحنا بمجموعة من التساؤلات الفرعية و المتمثلة فيما يلي :

- ✓ كيف انتشرت اللغة العربية بالمغرب الإسلامي؟ وما هو دور الفاتحين وحملة العلم الأوائل في ذلك؟
- ✓ وأين نشأت مواطن نشر اللسان العربي واحتضانه بالمغرب؟ وكيف ساهم العرب الهلاليين وبني سليم في نشر اللغة العربية وتداولها بين الألسنة ؟ ماعوامل ووسائل انتشار اللسان العربي بالمغرب الإسلامي؟
- ✓ و ما هي الملابسات الطارئة التي رافقت اللسان العربي بالمغرب الإسلامي؟ وكيف تحول البربر أمة مسلمة و معربة بالمغرب؟ و ما مدى مساهمة المغـاربة في الأدب العربي و نبـوغهم فيه ؟ و ما عوامل ذلك؟

و يجدر القول للإشارة الهلاليون في شبه الجزيرة العربية و إبراز الحياة العامة لقبيلتي بني هلال و بني سليم و أحوالهم السائدة بذكر أهم مواطن الهلاليين و أصلهم من مضر و استقروا في الحجاز على أيام العباسيين ثم نسبهم و انتشارهم في بوادي و حضر الأمصار و محاولة فهم نظام قبيلة بني هلال و ظروف ارتدادها عن الإسلام ثم إسلامها و ملابسات و عاداتها و تقاليدها و إبراز عوامل الهجرة الهلالية كالدافع الديني و الطبيعي و الديمغرافي ثم دراسة الهلاليين خارج الجزيرة قبل التغريبة باليمن و صعيد مصر قبيل الفتح الإسلامي ، فقد تعددت مظاهر الازدهار الحضاري لبلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي و من بينها اندماج و امتزاج البربر و الأمازيغ في الحضارة العربية الإسلامية المتواصل إلى زمننا الحاضر و إثراء الحضارة الإنسانية بعدد هام من العلماء و المفكرين و المبدعين فضلا عن تطور الفنون كالعمارة و الزخرفة و تأثير اللسان العربي الهلالي و بني سليم ذلك على التكوين القبلي و فكره بالمغرب ، فكانت النهضة الأدبية ضعيفة ضئيلة في أول الأمر لحداثة اللسان العربي.

فقد نطق باللغة البربرية اللوبيون المعاصرون للفراعنة منذ 35 قرنا و تحدث بها أهل برقة القدماء الذين عرفهم اليونان بقريني و هي لغة الجيتوليين و النوميديين و الدوريطانيين الذين امتزجوا بالقرطاجيين من القرن التاسع إلى الثاني قبل الميلاد و قد اصطدم بهم الرومان أكثر من اصطدامهم بالقرطاجيين أنفسهم بفرض هؤلاء الرومان لغتهم اللاتينية على البربر بواسطة المدرسة و الإدارة و الكنيسة و دام سلطان الرومان ثمانية قرون فلما اضمحل ، كانت البربرية قائمة ، و عرف الرومان هذه اللغة البربرية و ميزوا بينها و بين البونيقية بل عرفوا أنها تنقسم منذ ذلك العهد إلى عدة لهجات و حدثونا عما كانوا يلاقونه من مصاعب شائكة في تعلمها و نفورهم من تعاطي دراستها ، فقال الكاتب الروماني فلينوس القديم متحدثا عن البربر "... يتعذر على حناجر البربر أن تستطيع النطق بأسماء قبائلهم و مدنهم ..." ، فنطق عناصر المجتمع المغربي: العربية ووقف البربر محافظين على القران بالعربية و فسروه فيما بينهم بالبربرية أولا ثم بالعربية واستمر بعد ذلك خصوصا بإسلام قبيلة أوربة البربرية كعامل اتخاذ البربر اللسان العربي بالغرب الإسلامي .

و استعراض لأهم دوافع التي أدت للفتح الإسلامي لبلاد المغرب ثم تهيئة بيئة

دراسة نشر اللسان العربي من الأوضاع العامة في بلاد المغرب قبيل الفتح و الأوضاع السياسية و العرف السياسي و الدافع القومي و الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية ثم البربر في المغرب و بعدها دراسة الأدب البربر و الأوضاع الدينية ثم إسلام البربر و فهمهم للقران و بعدها حفظ البربر القران

و فسروه بينهم و من الأوضاع الثقافية تعلموا وشرحوا القران باللغة البربرية ثم باللغة العربية بمعنى دراسة عناصر المجتمع المغربي : من عرب و بربر ، فقد وقف البربر محافظين على القران بالعربية و فسروه فيما بينهم بالبربرية أولا ثم بالعربية، ماعدا منطقة جليقية بالأندلس ثم أبرزت العوامل المساعدة على نشر الإسلام بالمغرب و دراسة سلسلة الهجرات العربية الهلالية للمغرب و مشاركتهم لعملية الفتح الإسلامي وبعد التغريبة الهلالية في برقة وكيفية تطورها في بلاد المغرب و استعراب المغاربة و أحوال تداولهم اللغة العربية أو أهم محطات انتشارها وفوائدها وأثار انتشارها و دراسة علوم الدين و الفقه و النوازل بالعربية و الصراع بين العرب و ألسنة المغاربة بالتواصل العربي المغربي في العلوم الأدبية كالتاريخ و السير، الحساب الطب ، الفلك و ما يتعلق بالعلوم الفكرية و اللغوية من بلاغة

و تبليغ و الاتصال البشري ، و بالرغم أن بني هلال و بني سليم شكلوا أكبر القبائل المهاجرة إلا أنها ضمت قبائل هوازنية أخرى كشجم و سلول ودهمان و المنتفق و ربيعة وخفاجة و سعد وكعب و سواءة وكلاب و قبائل قيسية كفزارة و اشجع و عبس و عدوان و فهم و قبائل مضرية كهذيل و قريش و تميم و عنزة بل و قحطانية كجذام وكندة و مذحج و قد كان بنو هلال و بنو سليم و من جاء معهم من القبائل يقيمون في المنطقة الممتدة بين الطائف و مكة و بين المدينة و نجد ، و شاركوا في الفتوحات العربية الإسلامية ، إلا أنهم احتفظوا بثقلهم و طابعهم البدوي في الجزيرة العربية حتى تاريخ هجرتهم (440 هـ/1033 م) و استقرت هذه القبائل في افريقية ، و شاركت هذه القبائل في الحروب و الصراعات السياسية و العسكرية التي قامت في المنطقة و في حوض المتوسط وكان لها الأثر الحاسم في تعريب شمال أفريقيا ، فيما يصفها ابن خلدون "... بانتقال العرب إلى أفريقيا ...".

و لما فتح العرب المغرب (27 هـ/267 م) وجدوا اللغة البربرية منتشرة في الصحاري و الجبال و الجزر و في المدن و القرى تزاحمها في الساحل الشرقي اللغة البونيقية أي الفينيقية المتأثرة باللهجات والنطوق البربرية وبقيت هذه اللغة بعد الإسلام وبعد إسلام البربر الذي حسن منذ القرن (1هـ /7م) و عدلت في الغالب عن الخط اللوبي القديم وكتبت بالحرف العربي و كتبت به تصانيفها الدينية الإسلامية وشعرها وحكاياتها

ونوادرها وطرائفها ودرس المسلمون هذه اللغة العجيبة و صنفوا كتبا في المقارنة بينها وبين العربية و العبرانية واعتنى أصحاب المعاجم النباتية من الغافقي إلى ابن الجزار إلى ابن بيطار بإيراد التسميات البربرية للنباتات التي يصنفونها وبقيت هذه اللغة لفظ البلاط في الأسرة المالكة البربرية من صنهاجيين حفصيين حماديين

و زناتيين و مرابطين وموحدين و ضاع صيت اللسان العربي أرجاء الأمصار بدون عصبية أو تعصب .

و عند دخول العرب افريقية سنة (50هـ / 670 م) عهد خلافة معاوية بن أبي سفيان بقيادة عقبة بن نافع الذي أسس مدينة القيروان سنة (51هـ /671م) و انتشروا في البلاد فأسلم أهلها ، وكانت لعقبة جولة ثانية بافريقية الشمالية و أسر أثناءها الزعيم البربري كسيلة فبعدما كان راجعا إلى القيروان أمر الجيش الإسلامي أن يسبقه و أبقى معه حوالي 300 من أصحابه ، ولم يتفطن عقبة لفرار كسيلة من

معسكره ، و قد أساء معاملته ، فلم يحتمل كسيلة هذا الموقف ، وأخذ يجمع ما استطاع من الرجال و العتاد حتى كون قوة لا بأس بها و اعترض بها عقبة ، و جرت معركة أبلى فيها عقبة و أصحابه بلاء حسنا حتى استشهدوا جميعا سنة (63هـ /683 م) ، ولم يقتنع كسيلة بالقضاء على عقبة ، فتوجه إلى القيروان و اخرج منها زهير بن قيس البلوي الذي تراجع إلى برقة حتى جاءه المدد من الخليفة عبد الملك بن مروان عام (69هـ /688 م) و قصد القيروان ففر منها كسيلة فتبعه زهير و اشتبك معه في معركة انتهت بمقتله فقل الخطر حينئذ على الجيش العربي ، وكانت ببلاد الأوراس امرأة تدعى دهيا من قبيلة جراوة تعرف بالكاهنة - أميرة الأوراس - وكانت تظن أن العرب يهدفون من وراء غزواتهم إلى الحصول على الغنائم و الأموال، فراحت تحرق و تخرب و تتلف المزارع حتى لا يسعى العرب مرة أخرى إلى العودة إلى افريقية ، لما رأى الناس ما قامت به من التخريب و الإتلاف سخطوا عليها سخطا كان أهم أسباب انهزامها أمام جيش حسان بن النعمان (81 هـ /700م) و تمكّن بعد ذلك حسان من قتلها في معركة أخرى (82هـ /701م) فأمن على أصحابها و أدخلهم في قوته العسكرية وعيّن أكبر أبنائها حاكما على قومها ، و في عهد الوليد بن عبد الملك سنة (85هـ /704م) عهد بولاية افريقية إلى موسى بن نصير ، فكان على يده الفتح الحقيقي لبلاد أمازيغ ثم فتح الأندلس وكان ذلك سنة (92 هـ/711م) إذ عبر طارق بن زياد مع جنوده المضيق بحماس و روح الاستشهاد في سبيل الله و نشر دعوته لاستكمال الفتح الإسلامي .

فأخذ العرب يفدون إلى المغرب الأقصى والأندلس ، فكثر مرورهم و اختلاطهم بين العرب و أهلها ، و اندمجوا بالعنصر العربي و لم يصعب ذلك و في عروق البربر يجري من الدم العربي ما يبث روح التآنس و التعايش ، أضف إلى ذلك أن لغتهم حامية سامية و العربية سامية و الإسلام قد سوى بين العنصرين العربي و البربري كأخوة ، أما الذين سبقوا العرب إلى هذه الأرض فكانت غايتهم استغلال الأهالي و استعبادهم ليس إلا ، فلا بدع اذا أن نجح العرب في تعريب البربر و إدخالهم الإسلام و أن خفق غيرهم في تكييفهم ، فمنذ و طئت رجل العرب ارض افريقية أخذ أهلها بالتمازج و التخاطب بتلابيب اللغة العربية بين بربر و أمازيغ و أعراق و أصول أخرى، فأصبحت ثقافة افريقية مغربية عربية ، و أصبح مستقبل هذه الثقافة لن يتم أو يكون إلاّ بلسان عربي مبين .

فدراسة الفتوحات الإسلامية ودخول الإسلام إلى المغرب الإسلامي بعرض التركيبة الاجتماعية في الفترة الإسلامية المبكرة بالمغرب و ذكر الفاتحون الحقيقيون لمراحل الكبرى للفتح الإسلامي في مراحله منذ فتح عقبة بن نافع خلال الحملتين الأولى والثانية مع أبي المهاجر الدينار و زهير ابن قيس البلوي ثم ولاية حسان بن النعمان الغساني و صراع الكاهنة ثم فتح الأندلس مع موسى بن نصير و نشر اللغة العربية و خطبة طارق بن زياد خلال عصر الولاة (92 ، 138هـ/711 ، 755م) ثم عصر الإمارة (138 ، 206 هـ /755 ، 822 م) و فترة الصراع على الإمارة (206 ، 300هـ /822 ، 913 م) ثم عصر الخلفاء (300 ، 422 هـ/913 ، 1031م) وكذلك عصر ملوك الطوائف (422 ،897 هـ/ 1031 ، 1492م) و عصر المرابطين (441 ، 541هـ/1032 ، 1146م) و الموحدين (541 ،667 هـ /1147 ، 1229 م) فتم انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي بطرق ووسائل وعوامل انتشار التعريب إلى المغرب بحركة الترجمة في الحواضر الإسلامية المعربة الكبرى بالمغرب و الأندلس كالقيروان و تلمسان و بجاية و كان يتم التعليم الإسلامي العربي بالمناهج العربية التربوية و التعليمية لعلماء القيروان ، ولعل ما أبدعه أسد ابن الفرات و ابن سحنون منهجا يتجاوز مداه الدين إلى أغوار اللغة العربية و تداولها باللسان العربي مع سكان الأندلس .

فأثر العرب في الأندلس يرتبط بفتوح المغرب أي بحركة الفتوح الإسلامية ارتباطاً مباشراً فكانت وسيلة من وسائل نشر الإسلام ، و لقيت الدعوة الإسلامية قبولاً لدى أهل البلاد التي قام المسلمون بفتحها و من ثم قاموا بحمل لواء الدعوة لدى غيرهم من الشعوب الأخرى و تحمسوا لها و تأثروا بها بصورة كبير و قد تناول البحث حركة الفتوح الإسلامية لبلاد المغرب و أوردت فيه معلومات عن جغرافية بلاد المغرب من الموطن و التضاريس ، المناخ ، و عناصر السكان ببلاد المغرب قبل الإسلام و أحوال غرب البحر المتوسط قبل الفتوح الإسلامية و بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي، كما تناول طبيعة الفتوح الإسلامية و أهدافها و مرحلتها الاستكشافية و دور عمرو بن العاص والي مصر في فتوح الجبهة الأفريقية بموقعة سبيطلة و فتح سوسة و جلولاء و مرحلة الفتح المنتظم في الفترة (49 ، 55 هـ/ 669 ، 675 م) وولاية عقبة بن نافع الفهري و معركة تهودة و اكتمال الفتح في بلاد المغرب و محاولة زهير بن قيس البلوي لاستعادة النفوذ الإسلامي وولاية حسان بن النعمان الغساني في أفريقية و معركة

قرطاجة و نتائجها ، و إخضاع المغرب الأقصى في ولاية موسى بن نصير ثم شخصية المغرب الإسلامية في خلافة عمر بن عبد العزيز ،كما أشرت سابقا و أبرزت آثار كل ذلك على بلاد المغرب و التي تمثلت في انتشار الإسلام و اللغة العربية ثم تطرقت لأهم نتائج الفتوح الإسلامية لبلاد المغرب و لما انتقلت الخلافة إلى بني العباس (132هـ / 750م) و انتقل مركزها إلى بغداد بدأت حركات انفصالية في بلاد المغرب وكان قادة هذه الحركات في الأغلب من العلويين المطالبين بالخلافة و أول دولة أقامها الانفصاليون هي دولة الأدارسة التي أسسها بالمغرب الأقصى إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب (169هـ/786م) و بويع بالخلافة (172هـ /789م) و استمرت دولة الأدارسة (375هـ /985م) حين أزالها الفاطميون و عندها تولى الأغالبة أمر البلاد (184 ، 296 هـ /800 ، 909م) فساروا خطوات أوسع و أعمق في نشر التعاليم الدينية و اللغة العربية كما وجهوا في الحقل الإجتماعى عناية خاصة لتحضير البدو حتى ينتشلوهم مما يتعرضون له باستمرار من أسباب الفتن و الفوضى ، و لهم سياسة رشيدة حقا بعيدة النظر و قد استمرت دولتهم إلى أن أزالها الفاطميون في سنة (296 هـ / 909 م) بزعامة أبى عبد الله محمد عبيد الله المهدي المغرب الأقصى و ما

لبثت أن بسطت سيطرتها على كامل بلاد المغرب و اتخذت مدينة المهدية عاصمة و أسسها (300هـ/ 913 م) المهدي و دام بناؤها خمس سنوات و في عهد الفاطميين أنتشر مذهب الشيعة عن طريق الدعاية و التبشير و أحيانا عن طريق السيف والقوة ، و قد ازدهرت الحياة الأدبية و العلمية و الاقتصادية في عهدهم و اتسعت جوانب النهضة و الحضارة التي أسسها الأغالبة من قبلهم .

لما قوى نفوذ الفاطميين زحفوا على الشرق (358هـ/ 969م) فاستولوا على مصر و الشام و اليمن و الحجاز و أخذوا البيعة بالخلافة من كل هذه الأقطار و باستيلائهم على الشام و هددوا الخلافة العباسية في العراق.

و لم يمض وقت طويل على استقرار الفاطميين في مصر و تأسيسهم مدينة القاهرة و الجامع الأزهر و جعلها عاصمة لهم حتى بدأ نفوذهم في المغرب يضعف و يتلاشى ووجد عمالهم الصنهاجيون الفرصة سانحة فأعلنوا الانفصال عن الفاطميين (435 هـ /1043م) و تمكن يوسف بن بلكين من بسط سلطانه على كامل تونس و الجزائر و قد أشتهر من ملوك هذه الدولة الصنهاجية (و هي

بربرية) باديس بن يوسف، و ابنه المعز ، الذي حمل الناس بإفريقية على مذهب مالك ، وكان أكثرهم من قبل على مذهب أبى حنيفة أو شيعة ، و جاء بعد المعز ابنه تميم الذي كان شاعرا كبيرا كما كان أبوه شاعرا أيضا و في عهد تميم ظهرت الانقسامات الخطيرة في البلاد و أصبحت كالأندلس تحت رحمة ملوك الطوائف وكان هذا الانقسام بعد زحف الهلاليين وبني سليم المشهور في التاريخ و بفعل هذين العاملين دخلت البلاد في عهد تدهور و انحلال طويلين .

إن زحف بني هلال على افريقية سنة (442 هـ/1031م) و استقرارهم أي وسائل و عوامل انتشار اللغة العربية بالمغرب و الأندلس و الوجود الهلالي و السليمي بالمغرب الإسلامي النهائي و استقرارهم الكلي أو الرسمي بما في ذلك الحروب و المعارك الدائرة بينهم ثم التحالف الزيري الهلالي و التحالف الحمادي السليمي و القضاء الموحدين على الهلاليين و تشتيت قبائل شملهم و أسباب انتشار اللغة العربية بافريقية ، و نوهت لأهمية الفتح الإسلامي الذي كان له أثر كبير على بلاد المغرب و أهلها في مختلف مناحي الحياة و التي تجلت في انتشار الإسلام و اللغة العربية فازدهرت علوم اللغة و الأدب فعرف أهل تلك البلاد فن الغناء و فن الموشحات و علم التاريخ و الجغرافيا و الفلسفة و العلوم الدينية ، فقد كانت لغة قدماء المغرب بسيطة ثم تطورت مع الأيام و تأثرت بلغات الأمم التي جاورت البربر أو استوطنت بلادهم ، و هي ذات لهجات كما يشاهد بين سكان الأمصار ، فهناك لهجة خاصة بزواوة تختلف في بعض مظاهرها عن لغة الشاوية و بني مزاب و التوارق ، و يطلق على هذه اللغة اسم تمازيغت ، و كان لها كتابة ، و من واضح الأدلة على و جودها حينئذ ذلك الخط الذي عثر عليه في مختلف الجهات الشديدة الشبه بخط التوارق و كانت حروف اللغة البربرية تمثل رسوما ، و كان الخط البربري يتركب من 10 حروف يسمونها " تيفناغ " أي الحروف المنزلة من عند الله و أما الأشكال فهيّ 05 يسمونها " تيسد باكير " أي الدليل على العمل و التوسع و هي بخلاف تيفناغ من وضع البشر و هذا الخط على قول المؤرخ " فوكولد" يستحيل تدوين الكتب به و لم يبق له أثر في افريقية الشمالية سوى بالصحراء عند التوارق و يرى المؤرخين أن الخط البربري حديث العهد يرجع اختراعه إلى مسنيسا في القرن الثالث قبل الميلاد وضعه على نمط الحروف الهجائية الفينيقية و يؤيد ذلك أن مسنيسا عمل لئلا تكون دولته متخلفة بالنسبة إلى قرطاجة و روما و

غيرهما من البلدان ، و يحدثنا عنه التاريخ انه حرص على تنمية شخصية رعيته و تدعيم استقلالها اجتماعيا و ثقافيا و اقتصاديا و على أية حال فان اللغة الفينيقية غزت المغرب و تمركزت فيه و قدر أن تعيش بعد سقوط قرطاجة ما يزيد على 06 قرون ، فلم يذهب أثرها حتى جاءت العربية و يرجع الفضل للعرب غرس الإسلام في نفوس المغاربة غرسا لا يزول بزوال ملكهم و تمدنهم أجمع فان ما عثر عليه الباحثون اليوم من أثار لا يتجاوز بعض النقوش و الرسوم .

لاشك أن قدماء البربر قد قالوا الأغاني ، و خطبوا في مختلف الظروف كالولائم و الحروب و لم يسجلوا شيئا من ذلك لقلّة حظّ الكتابة عندهم و اختلاف اللهجات لم يعينا أدبهم على الانتشار و الوصول إلينا حتى نحكم له أو عليه ، فالأدب الذي لا يعتمد إلا على الحفظ و لا تتسع دائرته حظ الزوال حتما .

كما أن الشعب البربري ينحدر من السلالة البيضاء ذو لغة حامية سامية و حضارة أصيلة لا يستهان بها منعها الاستعمار الروماني و غيره من انتشارها مثلما كان الفينيقيون أمة سامية ينسبها المؤرخون إلى الشعب الكنعاني و اثروا في بعض الممالك و بلسانها فتعلم القرطاجيون من علومهم و مدارس تعلّم الفينيقية ففشت هذه اللغة في جميع البلاد حتى صار أهل قرطة عاصمة نوميديا لا يتكلمون بغير الفينيقية ، و أصبحت هي اللغة الرسمية بدواوين الحكومة و لغة الأكثرية البربرية لا يجهلها عظيم تخلّق بالأخلاق الرومانية و لا أحد من البداة من البربر ، بحيث أن الرومان كانوا يلجأون إلى مترجم عارف بالفينيقية عندما يضطرون إلى مخاطبتهم والقديس أوغسطين كان الأخر يحتاج ، عندما كان على رأس أسقفية بونة إلى أساقفة يحسنون هذه اللغة لبثّ التعاليم الدينية بها، و قد عثر على نقود ووجدت كتابات بقالمة و قسنطينة و ميلة على أضرحة بهذه اللغة و يوجد بجهات سطيف و جبل أوراس و سور الغزلان كتابات بحروف لاتينية لأعلام فينيقية و لم تبق هذه الأخيرة ما كانت عليه أيام القرطاجيين و لابد من تغيرها و امتزاجها "بتمازيغت" و عندما استولى الرومان على قرطاجة وجدوا مكتبات كثيرة ، ودفعوا ما تحويه من الكتب إلى رؤساء النومديين مكافأة لهم بعد مساعدتهم لمحاربة القرطاجيين ، و بالتالي لم ينفر البربر من القرطاجيين و تأثر القرطاجيون بعقائد البربر و اتخذوا إلههم عمون ربا و سموه بعلهمون و تعايشت الوثنيتين مع مجيء الرومان .

فالأدب العربي في المغرب الإسلامي وأثره على الوسط الفكري والعلمي بحيث أعالج أهمية اللغة العربية الأدبية و دورها في الحياة الفكرية و العلمية من الخط العربي و اللهجة العربية و قبائلها العربية التابعة لها و أثرها و مظاهر الأدب العربي المغربي من القران و النثر و الشعر و القصص و الخطابة و الحياة الأدبية و العلوم العقلية و علوم اللغة و الفلسفة و دور الترجمة و التأليف نشاط و مظاهر انتشار اللغة العربية بالمغرب الإسلامي المذهب المالكي و دوره في نشر اللغة العربية بحكم أن الجيوش التي غزت المغرب و الأندلس وكانت معظمها من الحجازين في طالعة عقبة بن نافع و موسى بن نصير بحيث

أن الأندلس كانت مستقلة عن الدولة العباسية التي كان مذهبها الرسمي هو المذهب الحنفي، و لهذا من الطبيعي أن يكون انتشار المذهب المالكي في الأندلس راجعا لتحقيق هذه النزعة الاستقلالية ، كما تمذهب القضاة في المغرب و الأندلس يدين بالمذهب المالكي ،ما يبين لنا أن دول الغرب الإسلامي تمسّكت بسياسة مذهب الواجب و هو المذهب المالكي، قصد تجنيب هذه الدول الإسلامية شرور الفتن و الخلافات المذهبية و حفظت لها سلامتها ووحدتها الروحية ، وكانت أهمية الركب الحجيجي بالغة الأهمية من الأسباب التي ترجع إلى التواصل و انتقال النحاة و اللغويين و دورا محوريا في حمل العلوم العربية و نشاط و عناية المغاربة باللغة العربية و دور الكتاتيب في التربية و التعليم و نشر اللسان العربي في المغرب الإسلامي.

كان التكلم باللغة العربية قبل الفتح الإسلامي لا يتجاوز سكان الجزيرة العربية فضلا عن أجزاء يسيرة من العراق و الشام و لكن ما أن امتد الفتح الإسلامي و اتسع مداه حتى حلت اللغة العربية محل اللغات السائدة آنئذ ، فلقد حلت محل الفارسية في العراق و بلاد فارس و الرومية بالشام و القبطية بمصر ، و الفينيقية و اللاتينية البيزنطية بالشمالي الأفريقي يقول المستشرف رنان في كتابه (تاريخ اللغات السامية) : "... إن انتشار اللغة العربية ليعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر كما يعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلها فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء فبدت فجأة على غاية الكمال سلسلة أية سلاسة غنية أي غني كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا أدنى تعديل فليس لها طفولة و لا شيخوخة ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة ، و لا ادري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض قبل أن تدخل في أدوار مختلفة ...".

فقد شهد المغرب الإسلامي نهضة علمية تبرز معالمها من خلال تعدد مراكز العلم بمعسكر القرن بالقيروان و جامع الزيتونة بتونس و جامع القرويين بفاس و جامع قرطبة بالأندلس و قد اشتهر الولاة و الأمراء بحذقهم للعلوم و اللغات و الفنون و الآداب مثل إبراهيم بن الأغلب الذي أجاد الشعر و البلاغة و المعز لدين الله الفاطمي الذي تكلم عدة لغات كالبربرية و الرومية و السودانية و برز في إفريقية العديد من العلماء المتخرجين من جامعة القيروان فاشتهر في اللغة و الأدب ابن الطرماح و أحمد اللؤلؤي و محمد بن جعفر القزاز و في الفلسفة أبو بكر القمودي و سعيد بن الحداد ، كما تأسست بالقيروان مدرسة للطب و اشتهر فيها عدد من الأطباء مثل إسحاق بن عمران و محمد بن الجزار و خاصة أحمد بن الجزار صاحب كتاب **زاد المسافر** كما تطور علم الجغرافيا و استغل في أغراض تطبيقية كالتجارة و علم التاريخ و الأنساب و قد اشتهر فيه ابن حيان و ابن حزم القرطبي و القاضي النعمان و ابن منظور القفصى (630 ،711هـ /1232،1311م) له معجم **لسان العرب** الذي يعتبر أكبر موسوعة في مادة اللغة العربية و ابن رشيق (385 ، 456 هـ /995 ، 1064) **صاحب العمدة** التي تعتبر أول محاولة في العربية وضعت أسس النقد الأدبي الصحيح و ابن طفيل (592هـ /1185 م) صاحب قصة حي بن يقظان التي تعد أول قصة فلسفية كتبت بالعربية و من هؤلاء الأعلام العباقرة نذكر الحصرى صاحب **زهر الآداب** و يعد من أضخم المصادر لتاريخ الأدب العربي و ابن ظفر هو أول من ألف في **أدب الأطفال** .

كما أفرزت الحضارة الإسلامية ببلاد المغرب عالما اشتهر بمؤلفاته الجغرافية رغم أنه كتب في علم النبات و الأدوية و هو الإدريسي الذي ولد بمدينة سبتة في المغرب الأقصى أواخر القرن (5 هـ/11م) و تنسب عائلته إلى الأشراف الأدارسة العلويين و درس في قرطبة ثم تنقل في عدة بلدان و ألّف عدة كتب من أهمها "**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** " و " **الأدوية المفردة** " وأسس الإدريسي جغرافيته على مفاهيم علمية صحيحة أهمها كروية الأرض و وجود خط الاستواء و تجاوز الإشعاع العلمي لبلاد المغرب حدود المنطقة الإفريقية حيث انتقل الإدريسي إلى جزيرة صقلية و عاش في قصر ملكها روجار الثاني الذي كلفه بتأليف كتاب مهم و شامل في وصف مملكته و البلدان المعروفة في ذلك العهد، و قد أشار ابن خلدون إلى تلك العلاقة حينما كتب "... و نحاذي بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي

ألفه العلوي الإدريسي الحمودي لملك صقلية الإفرنج، و هو روجار بن روجار عندما كان نازلا عليه بصقلية ...." وكان تأليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة و جمع له كتبا جمّة للمسعودي و ابن خرداذبة و الحوقلي و ابن إسحاق المنجّم و بطليموس و العذري و غيرهم ..." ، ابن خلدون ، المقدمة ، (ص 68) ثم التطرق إلى أصول اللغة العربية و أنواعها و الخط العربي الشامي المنتشر و تنوع اللهجة العربية و المغربية و مظاهر أخرى للأدب العربي من فقه و تفسير و أحكام للقران و ألوان النثر و قوافي الشعر و القصص و الخطابة و شتى فنون الإبداع اللغوي في اللسانيات الراقية و البلاغة اللغوية .

إن لانتشار اللغة العربية في المغرب و الأندلس زحف بني هلال و بني سليم على افريقية سنة (442 هـ /1031م) أي دراسة عامة للهلاليين في المغرب الإسلامي أولا بالمغرب الأدنى و المغرب الأوسط و المغرب الأقصى ثم في عصر الفاطميين (296، 365هـ / 909 ، 976 م) كانت بلاد المغرب التي قامت على أكتافها الدولة الفاطمية الشيعية في حالات مد و جزر لإعلان استقلالها و تمكن أخيرا المعز بن باديس الصنهاجي (440 هـ /1048م) بإعلان الانفصال و التبعية للخلافة العباسية ، و اتبع هذا الإعلان قطع الخطبة للخليفة المستنصر الفاطمي و حرق بنوده الخضراء ، و الدعوة على منابر إفريقيا و عصر الزيري إلى غاية عصر الصنهاجيين و التقارب الهلالي الصنهاجي ثم عصر

الحماديين (398هـ/ 1007م) و التقارب الهلالي الحمادي و عصر المرابطين (441 ، 541هـ /1032 ، 1146 م) و الموحدين (541 ، 667 هـ /1269 ، 1147م) و قد ساهم الغرب الإسلامي مساهمة فعالة في إثراء الحضارة الإسلامية خاصة المجال الأدبي فبرز العديد من اللغويين و يذكر ابن خلدون : " ... ما زلنا و نحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام الأنصاري أنحى من سيبويه (ت 170 هـ/ 787م) ... " و ما أهمية اللغة العربية بعدما استهجنت بالعجمية و اختلطت و تبلبلت و يذكر قول علي كرم الله وجهه لأبي أسود الدؤلي لما رأه يتقن النحو و معجبا به بتمكنه من ناصية النحو : "... على هذا النحو انحوا... " فسمي بالنحو و اهتم المفكرين باللغة مثل ابن رشد (530هـ /1126 م) الفقيه القاضي الفيلسوف و الطبيب الذي ولد بقرطبة و عاصر الفيلسوف ابن طفيل الطبيب ابن زهر و عاش ابن رشد بين الأندلس و المغرب الأقصى و ألف العديد من الكتب

أهمها : تهافت التهافت و فصل المقال فيما بين الشريعة و الحكمة من الاتصال و الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة و الكليات في الطب و صنّف فيه ابن رشد الأدوية حسب فعالياتها و آثارها كما شرح ابن رشد فلسفة أرسطو و نقلها إلى الغرب و لخص مؤلفات جالينوس في الطب و أقبل الغرب المسيحي على مؤلفاته باعتباره أبرز مفكري التيار العقلاني داخل الفكر العربي الإسلامي و مرجعا هاما في الفكر الأوروبي كنقطة تواصل بين الثقافتين الإسلامية و المسيحية.

إن انتشار اللغة العربية في المغرب الأوسط - أنموذجا - في العهد الذي كان الروم وقع حادث و له اثر خطير في مجرى التاريخ ذلك هو مبعث النبي (ص) في الجزيرة العربية و نزول القران الكريم و انتشار الإسلام و قيام العرب بالفتوحات ، فأسسوا دولا واسعة الأطراف شرقا ، ثم فتحوا غربا مصر ، ثم بلاد الأمازيغ فالأندلس، و لكن فتحهم يخالف فتوحات غيرهم ، فهو فتح ثقافي إذا جاءوا بكتاب و غايتهم تلقين ما في القران من دين وأخلاق ، و تطبيق ما فيه من سياسة و ثقافة و لغة هذا الكتاب العربية التي انتشرت بسرعة مدهشة و لا غرو في هذا الانتشار السريع ، فله أسبابه، فهي قبل كل شيء لغة راقية لغة دين و علم و فن ، ثم أن شقيقتها الفينيقية التي سبقتها إلى هذه الديار مهدت لها السبيل و لا ننس أن الأمازيغ من سلالة عربية لم ينفروا البتة من اللغة الداخلة ، بل وجدوها أرفع من لغتهم تؤدي ما يطلب منها أكثر من لغتهم ، و هي علاوة على ذلك ، لغة دينهم الجديد الإسلام و قد تطرقت بالتحديد إلى الوجود الهلالي و السليمي بالمغرب الأوسط و التحالف الزيري الهلالي و التحالف الحمادي و السليمي ثم الصراع المحتدم بينهما الزيري الحمادي ثم قضاء الموحدين على الهلاليين و تشتيت قبائل شملهم .

و لهذا تعد بلاد الأندلس و صقلية من حيث تراثها الثقافي بلادا مغربية ، ثم انتشرت بعد ذلك شيئا فشيئا بواسطة المعلمين المبعوثين من طرف الخلافة الأموية في الشرق لتعليم العربية و الدين و القرآن للبربر وكما نوهت هنا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أرسل بعثة مكونة من 10 فقهاء حلوا بالقيروان في مطلع القرن (2 هـ / 8م) و قد ذكرنا سابقا ما قام به هؤلاء و غيرهم من دور عظيم لنشر العربية و الدين الإسلامي التي ما زالت في بدايتها و كان عدد من الأمراء الأغالبة أنفسهم شعراء العربية كإبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية و حفيده الأمير أبو العباس بن الأغلب .

و من مشاهير شعراء العصر الأغلبي بكر بن حماد الزناتي في (3هـ / 8 م) و قد نحى في شعره منحى الزهد و التأمل وكان قد أرتحل إلى الشرق و التقى بأبي تمام و دعبل الخزاعي ثم عاد إلى القيروان .

أما القرن (4 هـ/10 م) الذي كان الحكم فيه بأيدي الفاطميين فقد اتسعت فيه النهضة الأدبية و بلغت شأوا بعيدا سواء في كثرة الأدباء أو مدى ما وصلوا إليه من تفوق و براعة في فن القول شعره و نثره على السواء و مثلما رأينا العصر الأغلبي يبدأ بمؤسسه إبراهيم بن الأغلب نرى العصر الفاطمي يبدأ أيضا بمؤسسه عبيد الله المهدي (ت 322 هـ / 934م) و من الشعراء الكبار الذين يباهى بهم الشعر المغربي في الدولة العبيدية الشاعر المشهور ابن هانئ الأندلسي ، و قد لقبا بالأندلسي لأنه أقام بعض الوقت في هذه البلاد أما أبوه فمن المهدية و قد لازم المعز لدين الله الفاطمي و أخلص له الود و المدح ، و كانت مكانته عنده كما كانت مكانة المتنبي عند سيف الدولة ، و خلد و قائعه العظيمة في أشعاره و أشاد بأسطوله العظيم و سنجد تفصيل ذلك في ترجمة حياته أما ما يهم أن نذكره هنا ، فهو أن ابن هانئ قد غطى على جميع الشعراء المغاربة في عصره و بزهم في بلاط المعز و ما أكثر ازدحامهم يومئذ على هذا البلاط ، كما غطى المتنبي و بزّ كل الشعراء في بلاط سيف الدولة و من علماء اللغة العربية في هذا العصر نذكر أبا عبد الله محمد بن جعفر القيرواني و هو شيخ ابن رشيق و قد نقل عنه ابن رشيق في كتابه العمدة كثيرا من دروسه و محاضراته في اللغة و الأدب و من هؤلاء أيضا أبو عبد الله الخشنى الضرير و هو أيضا من شيوخ ابن رشيق وقد قال عنه : " ... أنه كان مشهورا بالنحو و اللغة مفتقرا إليه فيهما بصيرا بغيرهما من العلوم ، كما كان شاعرا مطبوعا ..." ، لم تكن حركة الشعر قد نضجت وحدها في المغرب بل قد ظهر و نضج إلى جانبها – وهذا من مستلزمات النهضات الأدبية – حركة نقد أدبي قوية بدأت أول أمرها نتفا لا قواعد لها في القرن الثاني ونضجت في القرن الثالث و بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع و منتصف الخامس .

و ليس ابن رشيق هو الوحيد من بين أدباء المغرب الذين اهتموا بهذه الناحية الهامة في أدب اللغة العربية و نعنى بها النقد الأدبي بل كان هناك أيضا زميله ابن شرف الذي يعد من أدباء المغرب الكبار قد ألف رسائل الانتقاد ، و هو عبارة عن مقامات يتحدث فيها بطلها عن الشعراء من المتقدمين و المحدثين

فيصف أحدهم في قول قصير و يبين مزاياه و عيوبه في إيجاز و لكن ابن شرف فضلا عن أسلوبه الذي هو دون أسلوب ابن رشيق لم يصل إلى منزلة ابن رشيق في النقد .

فإذا وصلنا للدولة الصنهاجية فقد وصلنا إلى ذروة الازدهار الذي بلغته الحضارة و الثقافة العربية في هذه البلاد و قد وصف أحمد أمين عصر الصنهاجيين بقوله : " ... وفي الدول الصنهاجية كان العمران قد استحكم و الصلة بين المغرب و بين الأندلس و مصر و العالم الإسلامي كله قد تمكنت و الحضارة قد ازدهرت .... " أما ابن خلدون الذي كان أقرب لهذا العصر من المرحوم أحمد أمين فقد وصف عصر الصنهاجيين و ملكهم بقوله : " ... كان ملكهم أضخم ملك عرف للبربر بإفريقية و أترفه و أبذخه ... " .

أما عن نتائج و أثار انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي " نتطرق فيه إلى نتائج انتشار اللغة العربية و المغرب الأوسط و إبراز لأهم نتائج التغير و التخاطب و الاتصال ، فالبحث في الأصول اللغة العربية و الأعراق اللغوية و ألسنتها لهو خطاب حربي و أطروحة أسطورية ميتافيزيقية ليس لنا الجزم بها في العلم من تأكيدها بتعدد اللسانيات و اشتباكها مثل خيوط العنكبوتية بحكم ماله من امتزاج ما بين اللغة العربية و سائر اللغات و اختلاط و استنساخ من لغات و لهجات و خطوط منذ قرون طويلة و ختاما للدراسة في الفصل الرابع أي حاولت الإلمام ببعض حيثيات " نتائج و أثار انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي " سياسية – اقتصادية – اجتماعية – ثقافية ... فقد كان زحف بني هلال على "افريقية " المغرب الإسلامي ذا تأثير عظيم على الحياة الاجتماعية و الثقافية و السياسية أوحى الله (جل و على) رسالته إلى رسوله محمد (ص) و انزلها لسانا قرآنا عربيا و الله يبين لنا البيان و البصر والبصيرة و هداية لنبيه (ص) و للناس أصل العروبة باللسان في محكم تنزيله .

و ما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها ، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية ، و ليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو على ما أودع الله في سائر اللغات الأخرى من قوة و بيان ، أما السعة فالأمر فيها واضح ، و من يتتبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما هو معروف لغة تضاهي

اللغة العربية و يضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات ، و تزّين الدقة و وجازة التعبير لغة العرب .

توصلنا إلى حوصلة من نتائج ما أفرزه البحث اللغوي التاريخي و من ثم لابد من الإشارة إلى أهم المصادر و المراجع التي استقى منها البحث مادته و يمكن إدراجها باختصار:

بالرغم من قلة المخطوطات وصعوبة دراستها تعتبر المصدر الأول في تزويدنا بالمعلومات خلال الدراسة و منها :

محمد بن أحمد ميارة في **مختصر الدر الثمين و المورد المعين** ، جزء منه ، لابن عاشر و أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني في **نظم الدّرّ و العقيان في بيان شرف بني زيّان ملوك الدّولة الزيانية الجزائريّة** ، تحقيق : بوطالب محي الدّين و أبي العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي البوني 1063هـ/1653م **المسماة بالدرة المصونة في ذكر أولياء بونة** مصدر المخطوط بخزانة الشيخ الموهوب أولحبيب للمخطوطات بجاية بالجزائر وأبو عبد الله ابن محمد ابن عبد بن أبي الدنيا القرشي**الفرج بعد الشدة**

فالمصادر المستخدمة تمثل أعلى درجة البلاغة و البيان : " **القران الكريم** " و لعل من أبرز المصادر العربية " **بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب** " **لإبن عذارى المرّاكشيّ (ت 706 هـ / 1306 ، 1307 م)** تناول فيه تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي و فتح عمرو بن العاص و في فتح مدينة سبرت (صبراتة) و القيروان و قد أفادنا المصدر في تحديد أصول بعض قبائل البربر ، كما تناول الدعوة الشيعية و نجاحها في بلاد المغرب ، و تحدث عن حال تاهرت بعد سقوط الدولة الرستمية ، و عن الانتفاضات الإباضية في إقليم طرابلس ، و عن العلاقات الزيرية الفاطمية و ما ترتب عنها من قطع المعز بن باديس للخطبة للفاطمين في بلاد المغرب و بعضهم يرى أنه قد كتب في القرن (4 هـ/10م) و قام بترجمته المؤرخ الإسباني لا فونتي القنطرة (La Fount) سنة (1285 هـ /1867م) و على العموم هذا المصدر قد ساعدنا كثيرا في إثراء الجانب الأدبي و اللغوي خاصة الجزء الثاني و الثالث و كتاب " **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب" لمؤلفه المقري التلمساني (ت1041 هـ /1632م)** هذا المصدر الذي أفادنا كثيرا تاريخيا أدبيا ،كما اعتمدنا على المصدر كتاب "**المعجب في تلخيص أخبار المغرب " لعبد الواحد المرّاكشيّ** إذ يلخص تاريخ المغرب و الأندلس

خاصة تطور اللغة و " **تاريخ افتتاح الأندلس**" لإبن القوطية (ت367هـ /977م) الذي قام بتحقيقه الدكتور إسماعيل العربي و قد خدمنا هذا المصدر كثيرا ،كما اعتمدنا على مصدر لأبي عبد الله البكري **(ت 486 هـ / 1094م)** " **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** " بالإضافة إلى اهتمامه الدقيق بوصف المسالك التجارية ، وتحديد مسافاتها و مراحلها ، وحركة التجارة ، والسلع الصادرة ، والواردة ، والأسعار ، والمكاييل و الموازين و قد أفادنا بوصفه الدقيق للمدن المغربية ، و السودانية على حد سواء و **عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم (187 ،207 هـ /803 ،871م)**، " **فتوح إفريقية و الأندلس** " و يعتبر هذا المصدر من أقدم المصادر العربية التي أرخت للفتح العربي في بلاد المغرب ألفه كتكملة لفتح مصر و قد استفدنا من هذا المصدر في تناول الفتح الإسلامي لبرقة و طرابلس و إفريقية .

كتب التراجم منها كتاب " **الصلة** " لإبن باشكوال و هذا الأخير قام بترجمة للحكام و الأئمة و العلماء و المحدثين في الأندلس ، كما اعتمدنا على كتاب ابن الآبار (595 ، 658 هـ /1199، 1260م) " **الحلة السّيراء** "وهذا الأخير من أهم المؤلفات التي كتبها ابن الآبار موضحا فيها تراجم للشخصيات والأعلام النابغة في الأدب و أهل الشعر والدين و الأمراء و الحكام و من السّير نجد إبن حزم الأندلسي **الأخلاق والسيّر** وكتاب **جمهرة أنساب العرب** و ابن بسام الأندلسي (542هـ /1147م)

" **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** " و قد ذكر العديد من و كتاب "**بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**" لمؤلف الضبي وكتاب" **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**" للمؤلف الحميدي (ت488 هـ/1095م) **و** محمد لسان الدين بن الخطيب " **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** " و إضافة إلى مصادر متخصصة في ترجمة القضاة من بينها " **قضاة قرطبة** " للخشني و له أيضا " **طبقات علماء افريقية** " عند ذكر بعض التراجم المختلفة وكذلك الكتاب الخاص بالقضاء " **تاريخ قضاة الأندلس** " للنباهي و كذا ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي " **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب** " و " **تاريخ مدينة فاس** " و ابن أبي أصيبعة " **عيون الإنباء من طبقات الأطباء** " تحقيق نزار رضا و " **تاريخ علماء الأندلس** " لابن الفرضي (351 ،403هـ/ 962 ، 1013م) حققه إبراهيم الأبياري و " **أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمراءها رحمهم الله و الحروب الواقعة بهم لمؤلف مجهول** "

و قد حوى هذا المصدر على معلومات هامة دقيقة (350 هـ/951م) و ابن دينار أبي عبد الله بن محمد القيرواني في كتابه " **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس** ".

وعن المراجع باللغة الأجنبية نجد :

1 - Salem chaker. Manuel de linguistikue berbere. syntaxe et diachronie. Enag- editions. alger.1996

2 - Marc bloch . la france sous les derniers capetiers capetiens 1223 – 1328. Paris .1958 .

3 - Rachid bourouiba . ibn tumart . alger . 1974 .

4 - Rachid bourouiba . Abd al - mu'min flambe au des Almohades. Alger. 1982.

5 - G . b . bury. the cambridge medieval history . Volume 5 .edited by g.r. tanner. cabridge. 1968.

6 - Henri pirenne . les vi lles du moyen age . Maurice la mertin. Editeur. Coudenberg .1927.

7 - Henri pirenne. Les villes et les institutions urbaines. tome 2 . imp. G. michels – broeders. Tongres novlvelle societe d'editions. Bruxelles. Paris. 1939.

8 - Gustav lebon. La civilisation des A rabes.

9 - Heider Bammate te .visages de I 'islam .

10 - Toufik Fahd. la divination arabe.

11 - Murad wilfried hoemann. Journal d'un musulman Allemand Moncef chelli .la paraole arabe**.**